

# كتاب من مصر

يرجع تاريخها إلى الفرون الوسطى

مختصر كتابه مبناه

أحداها في استنبول والآخر في روما

من ذا الذي كان يخاطر ياله أن الإمام الفزالي حجة الإسلام والفيلسوف الشهير الذي توفي سنة ١١١١ ميلادية (٥٠٥ هجرية)، سبق نوراً أمام علماء التصريحة في القرن المشرقي على تاريخ النزجة المرية للكتاب المقدس لـ

على أن هذا هو الذي وقع فعلـاً . ففي المكتبة التركية تحت قبة أيا صوفيا في استنبول ، يرى الأنظر بمقاليـن عظـوظـين احتـوتـا بـعـضـ آثارـ الـإـمامـ الـمـلاـمـةـ الفـزـالـيـ الـثـيـمـ نـشـرـ بـعـدـ : أحـدـاـهـ بـصـرـانـ « الرـدـ الجـلـيلـ لـلـطـبـاتـ عـيـسىـ بـصـرـيعـ الـأـعـيـلـ » . وـمـنـ الـتـرـبـ حـقـاـنـ أـنـ يـقـىـ هـذـاـ الـأـلـزـ لـلـأـمـ مـنـ أـجـلـ الـلـهـاءـ ، ظـاهـرـ مـاـهـةـ سـنـةـ دـوـنـ أـنـ يـنـشـرـ عـلـيـ الـلـلـاـلـ أـنـ أـذـاـ قـدـ عـلـمـاـعـ السـرـورـ أـنـ طـبـةـ مـنـ قـدـ أـعـدـتـ الـآنـ لـلـنـشـرـ فـيـ بـارـيسـ فـيـ سـلـلـةـ قـيـسـةـ لـلـدـرـأـسـاتـ الـعـلـىـ بـعـوـمـةـ السـورـيـوـنـ . وـمـعـ شـكـرـناـ لـجـانـسـةـ السـورـيـوـنـ هـذـهـ الـحـدـدـةـ الـجـلـيلـةـ لـلـلـادـبـ الـرـبـيـ ، كـثـانـوـهـ أـنـ يـصـدرـ هـذـاـ الـكـتـابـ عـنـ الـقـاـهـرـةـ ، حـيـثـ كـتـبـتـ هـذـهـ الـخـطـوـطـةـ الـخـفـوـظـةـ الـأـنـ فـيـ إـسـنـبـولـ فـيـ سـنـةـ ١٢٧٣ مـيـلـادـيـ (٦٦٧ هـجـرـيـ) . وـذـكـرـ لـانـ هـذـهـ الـخـطـوـطـةـ لـمـ تـكـتـبـ فـيـ الـقـاـهـرـةـ فـقـطـ ، بلـ هـيـ تـقـلـلـ أـفـصـالـ وـبـعـدـ بـرـيـارـةـ الـإـنـامـ لـمـدـيـنـةـ الـاسـكـنـدـرـيـةـ ، كـاسـتـرـيـ ، وـمـنـ هـذـاـ شـأـنـاـ الـخـاصـ لـدـىـ الـلـهـ الـمـصـرـيـ ، مـنـ اـصـاصـيـ وـمـلـيـنـ . وـلـنـدـ رـأـيـ الـلـهـاءـ وـالـبـاحـثـونـ ، فـيـ تـارـيـخـ الـكـتـابـ الـمـفـدـعـ بـالـلـهـ الـرـبـيـ ، أـقـسـمـ أـمـامـ لـفـزـ يـسـتـوقـفـ الـسـابـقـ حـقـاـنـ . فـقـنـ الـإـمامـ الـفـزـالـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـنـبـيـاـ فـيـ كـاتـبـهـ « إـجـاءـ عـلـمـ الدـينـ » أـقـوـاـلـ الـكـبـيـرـ مـنـسـوـبـةـ عـيـسىـ بـنـ مـرـمـ . وـهـذـهـ قـدـ جـمـعـهـاـ وـلـشـرـهـ الـمـشـرـقـ الـأـنـدـلـسـيـ الـظـيـمـ (أـسـينـ بـلـتـيـوسـ Asia Palacioـ) ، وـقـدـ ثـبـتـ أـنـهـجـبـاـ ، مـاـ عـدـاـ قـوـلـنـ مـاـ ، لـيـسـ مـنـ الـأـعـيـلـ ، وـهـيـ شـدـيـدةـ الـرـزـعـةـ الـصـدـيـةـ الـتـصـرـفـةـ ، وـلـلـهـ مـاـ سـتـنـةـ مـنـ بـعـضـ الـنـسـاكـ فـيـ بـلـدـانـ الـشـرـقـ الـأـدـنـيـ . وـلـمـ يـمـرـ الـلـهـاءـ حـتـىـ الـبـوـمـ عـلـىـ الـكـتـابـ أـوـ الـكـتـبـ الـتـيـ نـقـلـ عـنـهـ الـإـمـامـ . وـلـكـنـ يـدـوـيـ فيـ جـلـاءـ الـكـتـابـ الـذـيـ نـقـلـ عـنـهـ مـمـ يـكـنـ الـمـهـدـ الـجـدـيدـ وـالـأـنـ غـيـرـهـ إـلـيـ مـاـهـةـ . فـنـ الـبـيـدـ مـاـسـيـبـيـوـنـ ، الـإـسـتـاذـ بـكـيـرـ قـرـنـاـ (« كـولـيجـ دـهـ فـرـانـسـ ») كـانـ لـوـلـ مـنـ وـجـهـ الـأـنـظـارـ إـلـيـ أـنـ مـقـاـلـةـ الـفـزـالـيـ الـخـطـيـةـ الـخـفـوـظـةـ فـيـ إـسـنـبـولـ حـافـةـ

هـ تقبيلات مأخوذة عن الترجمة الفرنسية للأغيل ، ولن يمكن أن يقتبسها الكاتب إلا أن كانت أماله نسخة من هذه الترجمة . فـ مصدر هذه المعرفة الجديدة لا يقال أبداً النـسخ وـكيف وـمتى اطلع إمامنا العـلام على الأغيل الكـريم ؟ يذهب الاستاذ «ماسيبيون» إلى أن هذه المعرفة الجديدة قد تـأتـت للإمام العـلامـة في غضون زيارته لـلـاسـكـنـدـريـة بعد انتـزالـهـ في بـيـتـ الشـدـسـ حـوـاـيـ سـنـةـ ١١٠١ـ مـ (٤٩٥ـ هـ) وـما يـقـرـيـدـ هذاـ الرـأـيـ انـالـفـرـالـيـ اـقـبـلـ عـارـةـ منـالـأـغـيلـ

.

ورـجـعـ فيـ اـسـتـفـاءـ هـذـاـ بـحـثـ الشـائـقـ كـانـ مـنـ الـتـمـينـ أـنـ أـتـامـ الـبـحـثـ وـالـدـرـسـ فيـ مـقـبـلـاتـ

الـفـرـالـيـ الـمـتـقـولـةـ عـنـ الـأـغـيلـ لـمـ يـلـيـ أـتـيـنـ الـتـرـجـةـ الـتـيـ أـخـذـتـ عـنـهـ . ذـلـكـ لـأـنـ تـرـجـاتـ الـأـغـيلـ إـلـىـ

الـأـنـجـانـ الـمـرـيـةـ جـرـتـ فـيـ بـلـدـانـ شـقـيـ قـلـلاـ عـنـ النـسـخـ الـبـوـنـيـةـ وـالـسـرـيـانـيـةـ وـالـقـبـطـيـةـ . وـفـيـ لـذـاكـ خـصـيـصـةـ

بـالـأـفـاظـ كـالـفـةـ الـمـرـيـةـ ، كـانـ طـيـبـاـ اـنـ تـفـاقـوـتـ هـذـهـ تـرـجـاتـ فـيـ الـفـظـ ، وـفـيـ اـتـقـافـتـ كـفـهاـ فـيـ الـمـنـىـ

وـقـدـ أـتـبـعـتـ الـفـرـصـةـ لـكـاتـبـ هـذـهـ السـطـوـرـ لـدـرـسـ مـخـطـوـطـةـ الـفـرـالـيـ الـمـفـوظـةـ فـيـ مـكـبـةـ

اسـتابـولـ ، رـجـعـ فـيـ المـوـرـ عـلـىـ حـلـ هـذـاـ النـزـ وـالـوـقـوفـ عـلـىـ مـصـدـرـ مـقـبـلـاتـ الـأـغـيلـ فـيـهـ

نـزـقـ الـإـمـامـ الـفـرـالـيـ سـنـةـ ١١١١ـ مـ فـلـاـ يـدـ أـنـ يـكـونـ فـدـ اـقـبـلـ عـنـ تـرـجـةـ قـبـلـ هـذـاـ التـارـيخـ .

وـمـلـلـوـمـ لـدـيـنـاـ اـنـ تـرـجـاتـ الـأـغـيلـ الـأـوـلـىـ إـلـىـ الـمـرـيـةـ قـدـ قـلـتـ عـنـ الـبـوـنـيـةـ اوـ الـسـرـيـانـيـةـ ، فـرـاحـتـ

الـكـاتـبـ تـقـابـلـ ، مـقـبـلـاتـ الـفـرـالـيـ يـاـذـجـ مـنـ تـرـجـاتـ الـأـوـلـىـ الـمـدـخـرـةـ مـخـطـوـطـاتـاـ فـيـ مـكـابـ

رـوـمـيـةـ وـغـيرـهـاـ مـنـ الـإـلـامـاتـ الـأـوـرـيـةـ الـمـخـلـقـةـ اوـ فـيـ دـيرـ جـيلـ سـيـنـاـ . وـلـكـنـ وـاحـدـةـ شـهـاـ لمـ

تـفـقـ بـعـدـ الـفـاظـ الـفـرـالـيـ لـاـ فـيـ تـرـجـاتـ الـمـتـقـولـةـ عـنـ الـبـوـنـيـةـ وـلـاـ فـيـ تـرـجـاتـ الـمـاخـوذـةـ عـنـ الـسـرـيـانـيـةـ

أـنـلـاـ يـكـونـ الـإـمـامـ قـدـ اـقـبـلـ عـنـ تـرـجـةـ عـرـيـةـ مـتـقـولـةـ عـنـ الـقـبـطـيـةـ ؟ اـنـ فـيـ اـثـيـاتـ هـذـاـ

الـرـأـيـ لـذـةـ وـفـائـةـ ، وـذـلـكـ لـأـمـ بـهـيـ ، لـذـلـكـ الدـلـيلـ عـلـىـ اـنـ الـإـمـامـ الـفـرـالـيـ صـنـفـ كـتـابـ فـيـ مـصـرـ ،

يـلـقـيـ نـرـأـعـلـىـ تـارـيـخـ تـرـجـةـ الـكـاتـبـ الـمـقـدـسـ فـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ . وـانـ اـسـتـطـعـتـ الشـورـ عـلـىـ تـرـجـةـ الـمـرـيـةـ

الـمـتـقـولـةـ عـنـ الـقـبـطـيـةـ ، اـنـ تـفـقـ فـيـ الـفـاظـاـ مـعـ مـقـبـلـاتـ الـفـرـالـيـ ( وـهـوـ اـقـبـلـ خـاصـ وـسـيـنـ آـيـةـ مـنـ

الـأـغـيلـ وـحـدهـ ) ؛ فـيـدـيـ اـنـ تـكـونـ هـذـهـ تـرـجـةـ قـدـ فـتـتـ قـبـلـ سـنـةـ ١١١١ـ مـ وـهـيـ الـمـنـىـ الـتـيـ تـرـفـ

فـيـ الـإـمـامـ . تـقـولـ اـنـ اـسـتـطـعـتـ هـذـاءـ كـانـ لـاـ عـزـلـةـ فـعـ جـديـدـ فـيـ التـارـيخـ . فـانـ اـقـدـمـ الـمـخـطـوـطـاتـ

الـمـرـيـةـ الـمـتـقـولـةـ عـنـ الـقـبـطـيـةـ ، الـمـرـوـنـةـ لـاـ ، يـرـجـعـ تـارـيـخـهـاـ إـلـىـ الـقـرـنـ ثـالـثـ عـشـرـ . وـيـكـونـ فـلـوـغـاـ

الـسـلـمـ قـدـ أـضـافـ إـلـىـ تـارـيـخـ تـرـجـةـ الـكـاتـبـ الـمـقـدـسـ حـقـيقـةـ تـارـيـخـيـةـ هـامـةـ . وـمـنـ حـاسـ الصـدـفـ اـنـ

أـدـتـ بـهـ خـاتـمـ الـبـحـثـ وـالـسـهـلـاـتـ إـلـىـ الشـورـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـخـطـوـطـةـ الـتـدـعـيـةـ وـاـثـيـاتـ هـذـاـ الرـأـيـ الـذـيـ

تـنـفـعـ إـلـيـ ، فـقـدـ عـزـزـ فـيـ مـكـبـةـ الـفـانـيـكـانـ عـلـىـ مـخـطـوـطـةـ مـنـ الـأـغـيلـ الـكـرمـ يـاـمـوـدـنـ اـحـدـهـاـ بـالـذـيـ

الـقـبـطـيـةـ وـالـآـخـرـ بـالـذـيـ الـمـرـيـةـ وـهـذـهـ الـمـخـطـوـطـةـ هـيـ تـرـجـةـ عـنـهـاـ أـنـ اـقـبـلـ عـنـ الـإـمـامـ الـفـرـالـيـ اـقـرـالـهـ

اـذـنـ يـكـونـ الـإـمـامـ الـفـرـالـيـ قـدـ اـسـتـقـ مـرـفـقـهـ بـأـقـوالـ الـأـغـيلـ مـنـ اـبـاطـ مـعـوـ ، وـالـمـخـطـوـطـةـ

التي تحتوي هذه الآيات هي النسخة القبطية العربية المحفوظة في مكتبة الفاتيكان ، التي كتبت في سنة ٤٠٤ أو ١٢٠٥ ميلادية ، أي بعد افتتاح قرن من الزمن على التاریخ الذي انتسب فيه التزالی س هذه النسخة عنها . أتکون هناك لنسخة خطبة أخرى مائة لها كتبت قبل هذا التاريخ ونفت هذه منها ؟ إن تاريخ المخطوطة القاتبکانية التي تحن بصدرها يعني ، لنا الجواب على ذلك لأنها تنتهي إلى الخطير الذي كان يهدى نسخ الأعمى في تلك الأيام العاصفة

وإنك لنرى في هذه المخطوطة حاتمين كتبنا في تاريخ ما يرجع بمدكتابه نصوصها . الأولى كتبت في كتبة أبي سيفين التي مازالت قائمة بحرب القديمة وفيها يسجل غبة البطريرك القبطي غريال أن المخطوطة مهدأة تكون وقنا على دير القديس أنطونيوس ، في صحراء العرب . ويأمر خطبة البطريرك الآباء والأخوة التازلین في الدير ان يذكروا الواقع في صلواهم ( وقد كان طيباً ، هو الشیخ واثماس ميخائيل ) . ثم ينعي البطريرك بناتاً أحد الكتاب من كتبة الدير . يقول « إنه ليس كثار الكتاب » التي يجوز حملها إلى البرج أو إخراوها ( ولله يقصد به هنا الأخلاق عليها في « خزانة » ) بل يجب ان يكون دائماً في الكتبة مع الكتب الأخرى المعدة للإذاعة في أيام الآحاد والاعياد ، يقرأونه صباحاً ومساءً . فان أراد أحد الرهبان ان يأخذها بصفة مؤقتة إلى خلوته للدرس او البحث ، فله ان يفعل ذلك على أن يبيده إلى الكتبة وبخelin البنا ان تلك المخطوطة كانت تمثيلية جداً ، وان الرجال قد حرموا عليها كل الدرس في كتبتهم درءاً لسواد موطنهم الصحراء ، الذي كان أشبه بقلعة ضد غارات اعراب البدية ولكن الملاشية الثانية بين انه حتى في تلك القلعة لم يكن الكتاب الذين هم آمن . فان هذه الملاشية قد اضحت على الكتاب الاصل بعد قرین ونصف من تاريخ الملاشية الأولى ( في سنة ٦١٥٠ م ) يهدى البطريرك القبطي في ذلك الزمن - واسمه البا يوحنا - ويسجل فيها حل تبره اووف التي خصت الكتاب بكتبة القديس أنطونيوس ، وذلك لافت الدير « كان قد خلا من ساكنه » وكان أهل البدية قد تبره وحلوا بين المسلمين مخطوطة الأنبياء . ولكن اعيدت المخطوطة فيها بعد ، ولم يقل البطريرك في مذكوريه ان كانت المخطوطة قد اعيدت في غارة مصادرة « من بعض انصار على العرب ، ام ان الناهرين اعادوها من تلقائهم ؟ ضمهم لمدم حاجتهم إليها كان هذا خط المخطوطات النديعة في تمرضاً للهب والسب . وانا لشکر الله ان أتقى لما على مخطوطتين من مصر ، برفع تاريخهما إلى القرن الثالث عشر ، إحداهما محفوظة في استنبول مع مقدمة لابراهيم التزالی والآخر محفوظة في رومية مع المخطوطة السابقة لها وانا لواجدون في تبند المخطوطتين المذكرين شعاعاً من الورى يطلع على البحث القدم الذي يجدد علماء النصرانية والإسلام لإزاحة الحبيب عنه ، لا فيه من لدة وفائدة تاريخية » « بنت الحارث »